تفسير سورةُ فصلت
من آية (45) إلى آية (54)
اللقاء السادس والأخير

المعنى الإجمالي من آية (37) إلى آية (44):

يذكرُ الله تعالى بعضَ الأدلَّةِ على وحدانيَّتِه وقُدرتِه، فيقولُ: ومِن آياتِ اللهِ الدَّالَّةِ على وُجودِه ووَحدانيَّتِه وقُدرتِه سُبحانَه: اللَّيلُ والنَّهارُ والشَّمسُ والقَمَرُ، لا تَسجُدوا -أيُّها النَّاسُ- للشَّمسِ ولا للقَمَرِ، واسجُدوا لله وَحْدَه الَّذي خلَقَهنَّ إنْ كُنتُم إيَّاه تَعبُدون.

فإنْ تكبَّرَ أولئك المشرِكونَ عن إفرادِ اللهِ تعالى بالعُبوديَّةِ، فإنَّ له سُبحانَه عِبادًا آخَرِينَ -يا مُحَمَّدُ- هم الملائِكةُ الَّذين عِندَه، فهم يُنَزِّهونَه لَيلًا ونَهارًا، ولا يَمَلُّونَ مِن ذلك.

ومِن آياتِ اللهِ الدَّالَّةِ على وَحدانيَّتِه تعالى وقُدرتِه على إحياءِ الموتى: أنَّك ترَى الأرضَ يابِسةً مُجدِبةً لا نَباتَ فيها، فإذا أنزَلْنا عليها الماءَ تحَرَّكَت وارتَفَعت، إنَّ الَّذي أحيا تلك الأرضَ اليابِسةَ بالمطَرِ لَمُحْيِي الأمواتِ يومَ القيامةِ، إنَّ اللهَ على كُلِّ شَيءٍ قَديرٌ.

يقولُ تعالى مهدِّدًا ومتوعِّدًا الَّذين يُلحِدونَ في آياتِه: إنَّ الَّذين يَميلونَ في آياتِ اللهِ عن الحَقِّ لا يَخفَونَ عليه سُبحانَه وتعالى.

ثمَّ يُبيِّنُ سبحانَه الفَرقَ الكبيرَ بيْنَ عاقبةِ المؤمنينَ وعاقبةِ الكافرينَ، فيقولُ: أفمَن يُلْقَى في النَّارِ فيُعذَّبُ فيها خَيرٌ أمْ مَنْ يأتي آمِنًا يومَ القيامةِ مِن عَذابِ اللهِ؟! اعمَلوا -أيُّها المشرِكونَ- ما شِئتُم؛ إنَّ اللهَ بما تَعمَلونَ بَصيرٌ.

ثمَّ يقولُ تعالى مهدِّدًا أيضًا: إنَّ الَّذين كَفَروا بالقُرآنِ لَمَّا جاءَهم لَخاسِرونَ، وإنَّ هذا القُرآنَ لكِتابٌ عزيزٌ مُمتَنِعٌ عن الخَلقِ أن يَقولوا مِثلَه، أو يَغلِبوا حُجَجَه، ليس للبُطلانِ إليه مِن سَبيلٍ، وهو تَنزيلٌ مِن حَكيمٍ يَضَعُ كُلَّ شَيءٍ في مَوضِعِه اللَّائِقِ به، حَميدٍ مُنَزَّهٍ -سُبحانَه- عن النَّقائِصِ والعُيُوبِ، مَحمودٍ على ذلك.

ثمَّ يُسلِّي اللهُ تعالى نبيَّه صلَّى الله عليه وسلَّم عمَّا أصابَه مِن أعدائِه، فيقولُ: ما يُقالُ لك -يا مُحَمَّدُ- إلَّا ما قد قِيلَ للرُّسُلِ مِن قَبْلِك. إنَّ ربَّك لَذُو مَغفِرةٍ للتَّائِبينَ، وذو عِقابٍ مُؤلِمٍ للمُصِرِّينَ على الكُفرِ والعِصيانِ.

ثمَّ يرُدُّ سُبحانَه على بعضِ الشُّبهاتِ الَّتي أثاروها حوْلَ القرآنِ الكريمِ، فيقولُ: ولو جعَلْنا هذا القُرآنَ بغَيرِ العَربيَّةِ لَقال كُفَّارُ قُرَيشٍ: لولا بيَّنَ اللهُ لنا آياتِ كِتابِه بِلُغَتِنا؛ لِنَعقِلَ ما فيه! ولو أنزَلْنا هذا القُرآنَ بغَيرِ العَربيَّةِ لَقال كُفَّارُ قُرَيشٍ مُتعَجِّبينَ: أقُرآنٌ أَعجَميٌّ ورَسولٌ عَرَبيٌّ؟!

ثمَّ يأمُرُ اللهُ تعالى نبيَّه صلَّى الله عليه وسلَّم أنْ يرُدَّ عليهم، فيقولُ: قُلْ -يا مُحَمَّدُ- للمُشرِكينَ: هذا القُرآنُ للمُؤمِنينَ هُدًى وشِفاءٌ لهم مِن أمراضِ القُلوبِ والأبدانِ.

ثمَّ يُبيِّنُ موقفَ الكافرينَ مِن القرآنِ، فيقولُ: والَّذين لا يُؤمِنونَ في آذانِهم ثِقْلٌ؛ فلا يَنتَفِعونَ بسَماعِ الحَقِّ، والقُرآنُ عليهم عَمًى؛ فلا يُبصِرونَ الحَقَّ الَّذي فيه، ولَا يَهْتدونَ به، أولئك كأنَّهم لعَمَى قلوبِهم عن فَهمِ ما أُنْزِل في القرآنِ، وعدمِ انتِفاعِهم به- يُنادَونَ مِن مَوضعٍ بعيدٍ منهم، فهُم لا يَسمعونَ النِّداءَ، ولا يَفهمونَه.

ثمَّ يُبيِّنُ اللهُ تعالى -تسليةً لنبيِّه صلَّى الله عليه وسلَّم- أنَّ النَّاسَ صنَعوا معه كما صنَعوا معَ موسى عليه السَّلامُ، فيقولُ:

(أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيطَانِ الرَّجِيمِ)

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتُلِفَ فِيهِ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ﴾ ﴿45﴾

(وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتُلِفَ فِيهِ) أي: ولقد آتَيْنا مُوسى التَّوراةَ فاختَلَف قَومُه فيها؛ فآمَنَ بها بَعضُهم واتَّبَعوها، وآخَرونَ مِنهم لم يُؤمِنوا بها وأعرَضوا عنها، كما آمَنَ بكِتابِك قَومٌ، وكذَّبَ به قومٌ -يا مُحَمَّدُ-؛ فلا تَحزَنْ مِن تكذيبِ المشرِكينَ بما آتَيْناك مِنَ القُرآنِ. موسوعة التفسير

قال ابن عثيمين: تَسليةُ المصابِ بذِكْرِ المشارِكِ له؛ لأنَّ الغَرَضَ مِن الإخبارِ بأنَّ اللهَ تعالى آتى موسى عليه السَّلامُ الكِتابَ فاختُلِفَ فيه: تَسليةُ النَّبيِّ -ﷺ-، وعلى هذا فيَنبغي تسليةُ المصابِ، ومِن ذلك تعزيةُ المصابِ بموتِ قريبٍ له أو صديقٍ -أي: تقويتُه على الصَّبرِ على المصيبةِ-، وتسليةُ المصابِ سُنَّةٌ؛ لِمَا في ذلك مِن رفْعِ أَلَمِ المصيبةِ عن أخيك المسلمِ.

قال رسولُ الله -ﷺ-: " ما مِن مُسلِمٍ يُعَزِّي أخاهُ بمصيبةٍ إلاَّ كَساهُ اللهُ من حُلَلِ الكَرامةِ يَوْمَ القِيامة" رواهُ البَيْهقي.

قال النبي -ﷺ-: "مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا، نَفَّسَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ" رواه مسلم

والله تعالى في عون من يواسون الناس، قال -ﷺ-: " واللهُ في عونِ العبدِ ما كان العبدُ في عونِ أخيه". صحيح ابن حبان.

فمن أراد أن يفرّج الله همه، وينفّس كربه، فليجتهد في تفريج همّ المهمومين، وتنفيس كرب المكروبين، فصنائع المعروف تقي مصارع السوء.

(وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ) أي: ولولا كَلِمةٌ سَبَقَت مِن رَبِّك -يا مُحَمَّدُ- بتأخيرِ العَذابِ إلى أجَلٍ مُسَمًّى، لأهلَكَهم اللهُ في الحالِ، وميَّزَ بيْنَ أهلِ الحَقِّ بنَجاتِهم، وأهلِ الباطِلِ بهَلاكِهم. موسوعة التفسير

(وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ) أي: وإنَّهم لَفي شَكٍّ شَديدٍ منه، مُوقعٍ في القَلَقِ، ومُوجِبٍ للاضطِرابِ. موسوعة التفسير

قال البيضاوي: (وَإِنَّهُمْ: وإنَّ اليهودَ، أو: الَّذين لا يُؤمِنونَ).

وقال القرطبي: (وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ إنْ حُمِلتْ على قومِ موسى، أي: لفي شكٍّ مِن كتابِ موسَى، فهم في شكٍّ مِن القرآنِ).

وقال ابن عاشور: (وأمَّا ضميرُ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ فهو خاصٌّ بالمشركينَ الشَّاكِّينَ في البَعثِ، والشَّاكِّينَ في أنَّ اللهَ يَنصُرُ رسولَه والمؤمنينَ).

قال ابن عثيمين: أنَّ الإيمانَ يجبُ ألَّا يُخالِطَه شَكٌّ، وأنَّه إذا وَرَد على القَلبِ شَكٌّ -ولو يَسيرًا- بشَرطِ ألَّا يُدافِعَه، بل يَركَنُ إليه؛ فإنَّ هذا مُحبِطٌ للإيمانِ، أمَّا لو وَرَدَ الشَّكُّ على القَلبِ وطَرَدَه وجاهدَ نَفْسَه على دَفْعِه، فهذا لا يَضُرُّه؛ ولهذا أخبَرَ النَّبيُّ -ﷺ- أنَّ النَّاسَ يتَساءلونَ مَن خَلَقَ كذا؟ مَن خَلَقَ كذا؟ حتَّى يقولوا: مَن خَلَقَ اللهَ؟ وهذا شكٌّ، ولكِنَّ الرَّسولَ أخبَرَ وقال: ((فإذا بَلَغَه فلْيَستَعِذْ باللهِ ولْيَنتَهِ)) متفق عليه، وأخبرَه الصَّحابةُ أنَّهم يَجِدونَ في نُفوسِهم ما يتعاظَمُ أحدُهم أنْ يَتَكلَّمَ به، فقال -ﷺ-: ((ذاك صَريحُ الإيمانِ)).

﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ ﴿46﴾

مُناسَبةُ الآيةِ لِما قَبْلَها: قال البقاعي: أنَّه لَمَّا تقرَّر بما مضَى أنَّ المطيعَ ناجٍ، وتحرَّر أنَّ العاصيَ هالكٌ، كانت النَّتيجةُ مِن غيرِ تردُّدٍ: مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا، كائنًا مَن كان.

(مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ) أي: مَن عَمِل في الدُّنيا عَمَلًا صالِحًا بإخلاصٍ لله تعالى، ومُتابَعةٍ لِشَرعِه؛ فثَوابُ ذلك العَمَلِ الصَّالحِ لِنَفْسِه، ونَفعُه له. موسوعة التفسير

(وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا) أي: ومَن عَمِل سُوءًا فعِقابُ إساءتِه على نَفْسِه، لا على غَيرِه. موسوعة التفسير

كما قال تعالى: يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ [يونس: 23].

وقال سُبحانَه: مَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ [الروم: 44].

(وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ) أي: وما ربُّك -يا مُحَمَّدُ- بظلَّامٍ لعِبادِه؛ فلا يُعاقِبُ أحَدًا بغَيرِ ذَنْبِه، أو يَزيدُ في سيِّئاتِه أو عِقابِه، أو يَنقُصُ مِن حَسَناتِه. موسوعة التفسير

كما قال تعالى: وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ [ق: 29].

فيه حَثٌّ على فِعلِ الخَيرِ، وتَركِ الشَّرِّ، وانتِفاعُ العامِلينَ بأعمالِهم الحَسَنةِ، وضَرَرُهم بأعمالِهم السَّيِّئةِ، فإذا علِم الإنسانُ أنَّ عمَلَه لِنَفْسِه فسوف يجتهدُ فيه. الدرر السنية

﴿إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ وَمَا تَخْرُجُ مِنْ ثَمَرَاتٍ مِنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَائِي قَالُوا آذَنَّاكَ مَا مِنَّا مِنْ شَهِيدٍ﴾ ﴿47﴾

مُناسَبةُ الآيةِ لِما قَبْلَها: قال ابن حيان: لَمَّا ذَكَر اللهُ تعالى: مَنْ عَمِلَ صَالِحًا الآية [فصلت: 46]، كان في ذلك دَلالةٌ على الجَزاءِ يومَ القيامةِ، وكأنَّ سائِلًا قال: ومتى ذلك؟ فقيل: لا يَعلَمُها إلَّا اللهُ تعالى، ومَن سُئِلَ عنها فليس عندَه عِلمٌ بتَعْيينِ وَقتِها، وإنَّما يُرَدُّ ذلك إلى اللهِ تعالى

(إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ) أي: إلى اللهِ وَحْدَه يُرجَعُ عِلمُ وَقتِ مَجيءِ القِيامةِ؛ فلا يَعلَمُ وَقتَها إلَّا اللهُ وَحْدَه. موسوعة التفسير

كما قال تعالى: إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ [لقمان: 34].

وعن أبي هُرَيرةَ رَضِيَ الله عنه في حَديثِ جِبريلَ الطَّويلِ، قال: متى السَّاعةُ؟ قال: ((ما المسؤولُ عنها بأعلَمَ مِنَ السَّائِلِ)) متفق عليه

(وَمَا تَخْرُجُ مِنْ ثَمَرَاتٍ مِنْ أَكْمَامِهَا) أي: وما تَبرُزُ في وَقتٍ مِن الأوقاتِ أيُّ ثَمَرةٍ مِنَ الثَّمَراتِ مِن أوعِيَتِها وظُروفِها إلَّا يَعلَمُها اللهُ. موسوعة التفسير

كما قال تعالى: وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ [الأنعام: 59].

وقال سُبحانَه: وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ [الرحمن: 11].

(وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ) أي: وما تَحمِلُ أيُّ أُنثى مِن حَمْلٍ إلَّا بعِلمِ اللهِ تعالى، ولا تَضَعُ حَمْلَها إلَّا بعِلمِ اللهِ تعالى، لا يَخفَى عليه سُبحانَه شَيءٌ مِن ذلك. موسوعة التفسير

قال ابن حيان: لَمَّا كانَ ما يَخرُجُ مِن أكمامِ الشَّجَرةِ وما تَحمِلُ الإناثُ وتَضَعُه هو إيجادَ أشياءَ بَعدَ العَدَمِ، ناسَبَ أنْ يُذكَرَ مع عِلْمِ الساعةِ؛ إذْ في ذلك دَليلٌ على البَعثِ، إذْ هو إعادةٌ بَعدَ إعدامٍ، وناسَبَ ذِكرُ أحوالِ المشركينَ في ذلك اليَومِ، وسُؤالُهم سُؤالَ التَّوبيخِ، فقالَ: وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَائِي...

(وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَائِي) أي: واذكُرْ يومَ يُنادي اللهُ المشركينَ يومَ القيامةِ، فيَقولُ لهم: أين شُرَكائيَ الَّذين كُنتُم في الدُّنيا تَزعُمونَ أنَّهم شُرَكاءُ لي في العبادةِ، وأنَّهم يَشفَعونَ لكم. موسوعة التفسير

كما قال تعالى: وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ [القصص: 62].

(قَالُوا آذَنَّاكَ مَا مِنَّا مِنْ شَهِيدٍ) أي: فأجاب المشركونَ رَبَّهم قائِلينَ: أعلَمْناك -رَبَّنا- اليومَ بأنَّه ليس مِنَّا أحَدٌ يَشهَدُ أنَّ لك شَريكًا. موسوعة التفسير

﴿وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَدْعُونَ مِنْ قَبْلُ وَظَنُّوا مَا لَهُمْ مِنْ مَحِيصٍ﴾ ﴿48﴾

(وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَدْعُونَ مِنْ قَبْلُ) أي: وغاب عن المشركينَ يومَ القيامةِ آلِهَتُهم الَّتي كانوا يَدْعُونَها مِن قَبْلُ في الدُّنيا، فلم يَنفَعوهم، ولم يَنتَفِعوا بدُعائِهم لهم. موسوعة التفسير

وقال ابن عاشور: (فالمرادُ به هنا: غَيْبَةُ أصنامِهم عنهم، وعدمُ وُجودِها في تلك الحضرةِ، بقطعِ النَّظرِ عن كَونِها مُلْقاةً في جهنَّمَ، أو بقيتْ في العالَمِ الدُّنيويِّ حينَ فنائِه).

كما قال تعالى: وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا شُرَكَائِيَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ مَوْبِقًا * وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا [الكهف: 52، 53].

(وَظَنُّوا مَا لَهُمْ مِنْ مَحِيصٍ) أي: وظنُّوا أنَّهم ليس لهم فِرارٌ ولا مَهرَبٌ مِن عَذابِ اللهِ يَحيدُونَ إليه، أو أمرٌ يُمَوِّهونَ به ويُراوِغونَ. موسوعة التفسير

﴿لَا يَسْأَمُ الْإِنْسَانُ مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ وَإِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ فَيَئُوسٌ قَنُوطٌ﴾ ﴿49﴾

مُناسَبةُ الآيةِ لِما قَبْلَها: قال الرازي: لَمَّا بَيَّنَ اللهُ تعالى مِن حالِ هؤلاء الكُفَّارِ أنَّهم بعدَ أنْ كانوا مُصِرِّينَ على القَولِ بإثباتِ الشُّرَكاءِ والأضْدادِ لله في الدُّنيا، تبَرَّؤوا عن تلك الشُّرَكاءِ في الآخِرةِ؛ بيَّنَ أنَّ الإنسانَ في جميعِ الأوقاتِ مُتبَدِّلُ الأحوالِ، مُتغَيِّرُ المنهجِ؛ فإنْ أحَسَّ بخَيرٍ وقُدرةٍ انتَفَخ وتعَظَّم، وإن أحسَّ ببَلاءٍ ومِحنةٍ ذَبَلَ، إنْ رأى خيرًا تَدَلَّى، وإن رأى شرًّا تَوَلَّى، فقال

(لَا يَسْأَمُ الْإِنْسَانُ مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ) أي: لا يَمَلُّ الإنسانُ مِن سُؤالِ رَبِّه المالَ والصِّحَّةَ وغَيرَ ذلك مِن مَطالِبِ الدُّنيا، ولا يَزالُ يَطلُبُ الزِّيادةَ مِنها. موسوعة التفسير

كما قال تعالى: وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلًا لَمًّا * وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا [الفجر: 19، 20].

وقال سُبحانَه: وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ [العاديات: 8].

وعن أبي هُرَيرةَ رَضِيَ اللهُ عنه، عن النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم قال: ((قَلْبُ الشَّيخِ شابٌّ على حُبِّ اثنتَينِ: طُولِ الحياةِ، وحُبِّ المالِ)) رواه مسلم.

وعن ابنِ عبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عنهما، قال: سَمِعتُ النَّبيَّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم يقولُ: ((لو كان لابنِ آدَمَ وادِيانِ مِن مالٍ لَابْتَغى ثالِثًا، ولا يَملأُ جَوفَ ابنِ آدمَ إلَّا التُّرابُ، ويَتوبُ اللهُ على مَن تاب)) رواه البخاري.

(وَإِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ فَيَئُوسٌ قَنُوطٌ) أي: وإن نالَ الإنسانَ شِدَّةٌ وكَربٌ، مِن مَرَضٍ أو فَقرٍ أو غَيرِ ذلك؛ فهو ذو يأسٍ شَديدٍ مِن تفريجِ اللهِ عنه، قَنوطٌ مِن أن يَرحَمَه اللهُ. موسوعة التفسير

قال القصاب: دَليلٌ أنَّ على المرءِ أنْ يَصبِرَ عندَ المصائبِ، ولا يَيأسَ مِن رَحمةِ رَبِّه، ولا يُلهِيَه مَسُّ المصيبةِ عن الذِّكرِ والشُّكرِ؛ فإنَّ المصائبَ وإنْ كانت تَشُقُّ عليه فهي كَفَّاراتٌ، وعاقِبتُها كَراماتٌ، ومِن صفةِ المؤمِنِ أنْ يكونَ شَكورًا عندَ الشَّدائدِ والرَّخاءِ؛ فما مِن شِدَّةٍ إلَّا وفَوقَها شِدَّةٌ، فإذا بُلِيَ بأدوَنِها كان عليه الشُّكرُ في صَرفِ أرفَعِها والمعافاةِ منها، فمَن جَعَل موضِعَ الشُّكرِ القُنوطَ واليأسَ قَلَّ تَبَصُّرُه، وساء تَخَيُّرُه.

قال ابن عاشور: وَصَف خُلُقَينِ ذَميمَينِ؛ أحَدُهما: خُلُقُ البَطَرِ بالنِّعمةِ، والغَفلةِ عن شُكرِ اللهِ عليها. وثانيهما: اليأسُ مِن رُجوعِ النِّعمةِ عندَ فَقْدِها.

كما قال تعالى: وَلَئِنْ أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَئُوسٌ كَفُورٌ [هود: 9].

﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُجِعْتُ إِلَى رَبِّي إِنَّ لِي عِنْدَهُ لَلْحُسْنَى فَلَنُنَبِّئَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾ ﴿50﴾

(وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي) أي: ولئن مَنَحْنا الإنسانَ نِعمةً وَخيرًا مِنَّا بعدَ الشِّدَّةِ والمحنةِ الَّتي أصابَتْه، لَيَقولَنَّ بغُرورٍ: أنا أهلٌ لهذا الخَيرِ ومُستَحِقٌّ له. موسوعة التفسير

قال ابن عطية: هذا الخَيرُ حَقٌّ لي حَصَلتُ عليه بعِلْمي وسَعْيي وتَدبيري، ويَنسى فضْلَ اللهِ عليه، ولُطفَه به.

قال ابن عثيمين: أنَّه تيقَّنَ الضَّرَرَ ثمَّ جاءت الرَّحمةُ مِن عندِ اللهِ تعالى، وهذا أبلَغُ في النِّعمةِ: أنْ تأتيَ بعدَ الضَّرَرِ؛ لأنَّ النِّعمةَ الدَّائِمةَ لا يُحَسُّ بها، لكِنَّ النِّعمةَ الطَّارِئةَ بعدَ الضَّررِ هي الَّتي يُحَسُّ بها؛ ولهذا مَن لم يَذُقْ مَرارةَ المرَضِ، فإنَّه لا يتذوَّقُ حَلاوةَ الصِّحَّةِ.

قال ابن حيان: سَمَّى النِّعمةَ رَحمةً؛ إذ هي مِن آثارِ رَحمةِ اللهِ تعالى، قال ابن عثيمين: ورحمةُ اللهِ تبارك وتعالى نَوعانِ: رحمةٌ خاصَّةٌ، ورحمةٌ عامَّةٌ، فما به قِوامُ البَدَنِ هو مِن الرَّحمةِ العامَّةِ؛ لأنَّه يَشملُ المؤمنَ والكافرَ، والبَرَّ والفاجرَ، والإنسانَ والحيوانَ، وما به قِوامُ الدِّينِ فهو مِن الرَّحمةِ الخاصَّةِ، وهذا يَختصُّ بالمؤمنينَ.

كما قال تعالى: وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ نَعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ [هود: 10].

وقال سُبحانَه: فَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً مِنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ [الزمر: 49].

(وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً) أي: وما أظُنُّ القيامةَ كائِنةً؛ فلَستُ على يقينٍ مِن وُقوعِ البَعثِ وحُصولِ الجَزاءِ. موسوعة التفسير

قال ابن عاشور: قد تَجْري أعمالُ بعضِ المسلمينَ على صُورةِ أعمالِ مَن لا يَظُنُّ أنَّ السَّاعةَ قائمةٌ، مِثلُ أولئك الَّذين يَأْتون السَّيِّئاتِ ثمَّ يَقولونَ: إنَّ اللهَ غفورٌ رحيمٌ، واللهُ غَنِيٌّ عن عَذابِنا، وإذا ذُكِرَ لهم يومُ الجزاءِ قالوا: ما ثَمَّ إلَّا الخيرُ، ونحوَ ذلك، فجَعَل اللهُ في هذه الآيةِ مَذَمَّةً لِلمُشرِكينَ، ومَوعِظةً لِلمُؤمِنينَ؛ كَمَدًا لِلأوَّلينَ، وانتِشالًا لِلآخِرينَ.

(وَلَئِنْ رُجِعْتُ إِلَى رَبِّي إِنَّ لِي عِنْدَهُ لَلْحُسْنَى) أي: وعلى فَرْضِ أنِّي رُدِدْتُ إلى ربِّي، وبُعِثتُ بعدَ مَوتي، فستَكونُ لي الجَنَّةُ. موسوعة التفسير

وقال ابن كثير: (أي: ولَئِنْ كان ثَمَّ مَعادٌ فلَيُحسِنَنَّ إلَيَّ ربِّي، كما أحسَنَ إلَيَّ في هذه الدَّارِ، يَتمَنَّى على الله عزَّ وجلَّ، معَ إساءَتِه العملَ، وعدمِ اليقينِ).

كما قال تعالى حِكايةً لِقَولِ صاحِبِ الجنَّتينِ: وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا [الكهف: 36].

(فَلَنُنَبِّئَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا) أي: فلَنُخبِرَنَّ يومَ القيامةِ هؤلاء الكافِرينَ بالَّذي عَمِلوه في الدُّنيا مِنَ السَّيِّئاتِ. موسوعة التفسير

(وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ) أي: ولَنُذيقَنَّهم مِن عذابِ النَّارِ الشَّديدِ الإيلامِ. موسوعة التفسير

﴿وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ﴾ ﴿51﴾

مُناسَبةُ الآيةِ لِما قَبْلَها: قال الرازي: لَمَّا حكى اللهُ تعالى أقوالَ الَّذي أنعَمَ عليه بعدَ وُقوعِه في الآفاتِ؛ حكَى أفعالَه أيضًا.

(وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ) أي: وإذا أنعَمْنا على الإنسانِ بنِعمةٍ مِن رِزقٍ أو صِحَّةٍ، أعرَض عن عبادةِ اللهِ وشُكْرِه وَحْدَه، وترفَّعَ عن الانقيادِ إلى الحَقِّ وتكَبَّرَ. موسوعة التفسير

وقال ابن عثيمين في قوله تعالى: وَنَأَى بِجَانِبِهِ: (أعرَض ببدنِه وبقلبِه مفتخرًا متعاظمًا).

كما قال الله تعالى: وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنْبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَنْ لَمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرٍّ مَسَّهُ كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ [يونس: 12].

وقال سُبحانَه: وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا [الإسراء: 67].

(وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ) أي: وإذا نال الإنسانَ شَرٌّ مِن مَرَضٍ أو فَقرٍ، تضَرَّعَ إلى اللهِ واستغاثَ به؛ لِيَكشِفَ عنه ضُرَّه، وأطال الدُّعاءَ واستَكثَرَ مِنه. موسوعة التفسير

قال البقاعي: فيه تَنبيهٌ أنَّه ينبغي للإنسانِ أن يَشرَعَ في الدُّعاءِ عندَ التوقُّعِ، بل قَبْلَه؛ تعَرُّفًا إلى اللهِ تعالى في الرَّخاءِ، لِيَعرِفَه في الشِّدَّةِ، وهو خُلُقٌ شَريفٌ لا يَعرِفُه إلَّا أفرادٌ خَصَّهم اللهُ بلُطفِه.

قال ابن عاشور: هذا وصْفٌ وتذكيرٌ بضَرْبٍ آخَرَ مِن طُغيانِ النَّفْسِ الإنسانيَّةِ، غيرِ خاصٍّ بأهلِ الشِّركِ، بل هو مُنبَثٌّ في جميعِ النَّاسِ على تفاوُتٍ، إلَّا مَن عصَمَ اللهُ، وهو توصيفٌ لِنَزَقِ النَّفْسِ الإنسانيِّ وقلَّةِ ثباتِه، فإذا أصابَتْه السَّرَّاءُ طغَى وتكبَّرَ، ونسِيَ شُكرَ ربِّه نسيانًا قليلًا أو كثيرًا، وشُغِلَ بلَذَّاتِه، وإذا أصابَتْه الضَّرَّاءُ لم يَصبِرْ، وجزِعَ، ولجأ إلى ربِّه، يُلِحُّ بسؤالِ كشفِ الضَّرَّاءِ عنه سريعًا، لم يَتذكَّرِ الإقبالَ على دعاءِ ربِّه إلَّا عندَما يَمَسُّه الشَّرُّ، وكان الشَّأنُ ألَّا يَغفلَ عن ذلك في حالِ النِّعمةِ، فيدعو بدوامِها، ويَشكُرُ ربَّه عليها، وقَبولِ شكرِه؛ لأنَّ تلك الحالةَ أولَى بالعنايةِ مِن حالةِ مسِّ الضُّرِّ.

وقال سُبحانَه: ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ * ثُمَّ إِذَا كَشَفَ الضُّرَّ عَنْكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْكُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ [النحل: 53، 54].

وقال عزَّ وجلَّ: وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِنْ قَبْلُ [الزمر: 8].

وقال تبارك وتعالى: إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا * إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا [المعارج: 19، 20].

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُمْ بِهِ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾ ﴿52﴾

مُناسَبةُ الآيةِ لِما قَبْلَها: قال الرازي: أنَّ اللهَ تعالى لَمَّا ذَكَر الوَعيدَ العَظيمَ على الشِّركِ، وبيَّنَ أنَّ المشرِكينَ يَرجِعونَ عن القَولِ بالشِّركِ في يومِ القيامةِ، ويُظهِرونَ مِن أنفُسِهم الذِّلَّةَ والخُضوعَ بسَبَبِ استيلاءِ الخَوفِ عليهم، وبيَّنَ أنَّ الإنسانَ جُبِلَ على التَّبدُّلِ؛ فإنْ وَجَد لِنَفْسِه قُوَّةً بالَغَ في التَّكَبُّرِ والتَّعَظُّمِ، وإنْ

أحَسَّ بالفُتورِ والضَّعفِ بالَغَ في إظهارِ الذِّلَّةِ والمِسكَنةِ- ذكَرَ عَقِيبَه كَلامًا آخَرَ يُوجِبُ على هؤلاء الكُفَّارِ ألَّا يُبالِغوا في إظهارِ النفرةِ مِن قَبولِ التَّوحيدِ، وألَّا يُفرِطوا في إظهارِ العَداوةِ معَ الرَّسولِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم **(قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُمْ بِهِ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ)** أي: قُلْ -يا مُحَمَّدُ- لكُفَّارِ قَومِك: أخبِروني إن كان هذا القُرآنُ حَقًّا مِن عندِ اللهِ، ثُمَّ كَفَرتُم به، فلا أحَدَ أضَلُّ مِنكم لِفَرطِ شِقاقِكم وعِنادِكم وعداوَتِكم؛ لأنَّه تَبيَّنَ لكم الحقُّ والصَّوابُ، ثمَّ عَدلْتُم عنه، فأهْلَكتُم أنفُسَكم. موسوعة التفسير

﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ ﴿53﴾

(سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ) أي: سنُري أولئك الكافِرينَ بالقُرآنِ آياتِنا الدَّالَّةَ على أنَّ القُرآنَ حَقٌّ مِن عندِ اللهِ لا شَكَّ فيه ولا رَيبَ، وذلك بدَلائِلَ خارجيَّةٍ في الآفاقِ والنَّواحي، ودَلائِلَ في أنفُسِهم. موسوعة التفسير

وقال السعدي: (سيُقيمُ اللهُ لكم ويُريكم مِن آياتِه فِي الْآفَاقِ كالآياتِ الَّتي في السَّماءِ وفي الأرضِ، وما يُحدِثُه اللهُ تعالى من الحوادِثِ العَظيمةِ الدَّالَّةِ للمُستبصِرِ على الحَقِّ. وَفِي أَنْفُسِهِمْ ممَّا اشتمَلَت عليه أبدانُهم، مِن بديعِ آياتِ اللهِ وعجائبِ صَنعتِه، وباهِرِ قُدرتِه، وفي حُلولِ العُقوباتِ والمثُلاتِ في المكَذِّبين، ونَصرِ المؤمِنينَ... وقد فَعَل تعالى؛ فإنَّه أرى عِبادَه من الآياتِ ما به تَبيَّنَ لهم أنَّه الحَقُّ، ولكِنَّ اللهَ هو الموفِّقُ للإيمانِ مَن شاء، والخاذِلُ لِمَن يَشاءُ).

كما قال تعالى: وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا [النمل: 93].

وقال تبارك وتعالى: وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَأَيَّ آيَاتِ اللَّهِ تُنْكِرُونَ [غافر: 81].

وقال الله جَلَّ جَلالُه: وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ * وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ [الذاريات: 20، 21].

(حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ) أي: سنُري المشرِكينَ آياتِنا في الآفاقِ وفي أنفُسِهم؛ حتَّى يَتبيَّنَ لهم أنَّ القُرآنَ حَقٌّ، فلا يَجِدوا إلى إنكارِ ذلك سَبيلًا. موسوعة التفسير

قال ابن القيم: (القرآنَ حقٌّ، فأخبَرَ أنَّه لا بدَّ مِن أن يُرِيَهم مِن آياتِه المشهودةِ ما يُبيِّنُ لهم أنَّ آياتِه المتلوَّةَ حقٌّ).

قال ابن القيم: أخْبَرَ أنَّه يُري عِبادَه مِن الآياتِ المشهودةِ العِيانيَّةِ في الآفاقِ وفي أنفُسِهم -الَّتي هي أدلَّةٌ عقليَّةٌ- ما يَتَبيَّنُ به أنَّ آياتِه السَّمعيَّةَ القُرآنيَّةَ حَقٌّ وصِدقٌ؛ فآياتُ الرَّبِّ تعالى العِيانيَّةُ الأُفُقيَّةُ والنَّفْسيَّةُ مُستَلْزِمةٌ لإثباتِ الأدِلَّةِ السَّمعيَّةِ.

قال ابن عثيمين: فيَنبغي للإنسانِ أنْ يَتفكَّرَ في آياتِ اللهِ تعالى في الآفاقِ وفي نَفْسِه؛ لأنَّ ذلك طريقٌ إلى أنْ يَتَبَيَّنَ له الحقُّ، فأنت كلَّما ازدَدْتَ تأمُّلًا وتدبُّرًا لآياتِ اللهِ الآفاقيَّةِ والآياتِ الَّتي في نفْسِك؛ فإنَّك لا شكَّ تَزدادُ إيمانًا، ويَتَبَيَّنُ لك صِدْقُ الرَّسولِ عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ.

قال ابن القيم: أنَّه لا بُدَّ أنْ يُرِيَ اللهُ سُبحانَه أهلَ كلِّ قَرنٍ مِن الآياتِ ما يُبَيِّنُ لهم أنَّه اللهُ الَّذي لا إلهَ إلَّا هو، وأنَّ رُسُلَه صادِقونَ.

(أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ) أي: أوَلَم يَكْفِ بربِّك -يا مُحمَّدُ- أنَّه شاهِدٌ على كُلِّ شَيءٍ، ومِن ذلك شَهادتُه أنَّ القُرآنَ حَقٌّ نَزَل مِن عِندِه تعالى على رَسولِه مُحمَّدٍ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم. موسوعة التفسير

قال الزمخشري: أنَّ هذا الموعودَ مِن إظهارِ آياتِ الله في الآفاقِ وفي أنفُسِهم سيَرَوْنَه ويُشاهِدونه، فيَتبيَّنون عندَ ذلك أنَّ القرآنَ تنزيلُ عالِمِ الغَيبِ الَّذي هو على كلِّ شيءٍ شهيدٌ، أي: مُطَّلِعٌ مُهَيْمِنٌ، يَستوي عندَه غَيْبُه وشَهادتُه، فيَكفيهم ذلك دليلًا على أنَّه حقٌّ وأنَّه مِن عندِه، ولو لم يكنْ كذلك لَمَا قَوِيَ هذه القوَّةَ ولَمَا نُصِر حامِلوه هذه النُّصْرةَ.

قال ابن عثيمين: يُؤخَذُ منه الحذرُ مِن المخالَفةِ، فإذا عَلِم العبدُ أنَّ اللهَ شهيدٌ على كلِّ شَيءٍ -على نَفْسِه؛ أفعالِه؛ أقوالِه؛ كلِّ تصرُّفاتِه- وأنَّه شهيدٌ عليه في خَلَواتِه؛ في وَحدتِه؛ في جلوسِه مع أهلِه؛ في جلوسِه مع صَحْبِه؛ فإنَّه سوف يُراقِبُ اللهَ عزَّ وجلَّ، وهذا هو معنى قولِ الرَّسولِ عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ: ((أنْ تَعْبُدَ اللهَ كأنَّك تَراه؛ فإنْ لم تَكُنْ تَراه فإنَّه يَراك)) البخاري، ومَن لم يَتَّعِظْ بمِثْلِ هذه الآيةِ فإنَّه لن يَتَّعِظَ.

قال البقاعي: فيه أعظَمُ بِشارةٍ بتَمامِ أمرِ الدِّينِ، وظُهورِه على المعتَدينَ؛ وذلك لأنَّ كُلَّ أحَدٍ يَجِدُ في نَفْسِه أنَّه إذا أراد ثُبوتَ حَقٍّ يُنكِرُه مَن هو عليه، ولصاحِبِ الحَقِّ مِنَ الشُّهودِ ما يَتحَقَّقُ قَولُهم فيه، ووُصولُه بهم إليه: أنَّه يَكونُ مُطمَئِنًّا لا يَنزعِجُ بالجَحدِ؛ عِلمًا منه بأنَّ حَقَّه لا بُدَّ أن يَظهَرَ، ويُخزَى مُعانِدُه ويُقهَرَ، وفي هذا تأديبٌ لكُلِّ مَن كان على حَقٍّ ولا يَجِدُ مَن يُساعِدُه على ظُهورِه؛ فإنَّ اللهَ شاهِدُه، فلا بدَّ أن يَظهَرَ أمْرُه؛ فتوكَّلْ على اللهِ إنَّك على الحَقِّ المبينِ.

﴿أَلَا إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَاءِ رَبِّهِمْ أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ﴾ ﴿54﴾

(أَلَا إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَاءِ رَبِّهِمْ) أي: ألَا إنَّ الكافِرينَ بالقُرآنِ في شَكٍّ مِن وُقوعِ البَعثِ بعدَ الموتِ؛ ولذلك لا يَرجُونَ في الآخِرةِ ثَوابًا، ولا يَخافونَ فيها عِقابًا. موسوعة التفسير

كما قال تعالى: وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ [الحج: 55].

(أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ) أي: ألَا إنَّ اللهَ مُحيطٌ بكُلِّ شَيءٍ عِلمًا وقُدرةً وغَيرَ ذلك. موسوعة التفسير

قال ابن عثيمين: تحقيقُ مراقبةِ اللهِ؛ لأنَّك إذا آمنتَ أنَّ اللهَ بكلِّ شيءٍ محيطٌ؛ فسوف تُراقِبُه مراقبةً تامَّةً، بحيثُ لا يَفْقِدُك حيثُ أمَرَك، ولا يَراك حيثُ نَهاك.